المبحث الرابع: مجادلة أهل الكتاب من القرآن والسنة

المطلب الأول:

مشروعية مجادلة أهل الكتاب من القرآن والسنة

أدلة مشروعية مجادلة أهل الكتاب من القرآن: قال تعالى:**{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** قال ابن كثير في تفسيرها: "وقوله:**{وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}**[1]

١ - أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب"[2] اهـ وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: " فإنْ كان المدعو يرى أنَّ ما هو عليه الحق أو كان داعية إلى الباطل فيجادل بالتي هي أحسن وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها فإنَّه أقرب إلى حصول المقصود وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها"[3] أهـ

٢ - وقال تعالى:**{وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ له مُسْلِمُونَ}**[4]

٣ - قال الشوكاني رحمه الله:**{وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** أي: إلا بالخصلة التي هي أحسن وذلك على سبيل الدعاء لهم إلى الله عز وجل والتنبيه لهم على حججه وبراهينه رجاء إجابتهم إلى الإسلام لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة**{إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}** بأن أفرطوا في المجادلة ولم يتأدبوا مع المسلمين فلا بأس بالإغلاظ عليهم والتخشين في مجادلتهم" [5] والمتأمل في القرآن يجد أنَّ معظم القضايا التي جادل القرآن فيها أهل الكتاب تدور على

(١) سورة النحل: ١٦، ١٢٥.
(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٥٣٢).
(٣) تفسير ابن سعدي (٣ / ٩٣).
(٤) سورة العنكبوت: ٢٩، ٤٦.
(٥) فتح القدير: (٤ / ٢٠٥).

محورين:

أ. توحيد الله وعبادته

ب. إثبات نبوة محمد ﷺ والإيمان به [١]

والأمر بمجادلة أهل الكتاب في القرآن جاء مقرونا بالإحسان ومن الإحسان:

- اتباع طريقة القرآن في جداله لأهل الكتاب "والأصل في باب مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن هو آية آل عمران:**{قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}** [٢] ولهذا امتثلها النبي ﷺ فكتبها في رسالته إلى هرقل عظيم الروم يدعوه إلى الإسلام ونبذ الشرك وقد حرَّفَ العصرانيون معنى "الكلمة السواء" إلى معانٍ فاسدة [٣]
- عدم تكذيب ما عندهم تكذيبا عاما لمجرد كونه من كتبهم بل ينبغي السكوت عن ذلك فلا يصدقون ولا يكذبون [٤]
- ومنه: عدم تفضيل نبينا محمد ﷺ على أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام على وجه الحمية والعصبية لحديث أبي هريرة عند البخاري: قال ﷺ : **«لا تخيروني على موسى»** [٥] وفي رواية عند البخاري أيضا: **«لا تفضلوا بين أولياء الله»** [٦]
- ومنه: أن تكون المجادلة: "بحسن خلق ولطف ولين كلام ودعوة إلى الحق وتحسينه ورد الباطل وتهجينه بأقرب طريق موصل لذلك وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق"[٧]

(١) منهج الجدل والمناظرة (١ / ٤٨٦).
(٢) سورة آل عمران ٣ / ٦٤/ دعوة التقريب بين الأديان (٢ / ٧٢٥)، وانظر: الإبطال لبكر أبوزيد (١٠١).
(٣) دعوة التقريب بين الأديان (٢ / ٧٢٥ - ٧٣٧).
(٤) منهج الجدل والمناظرة (١ / ٣٢٦، ٣٢٧).
(٥) رواه البخاري رقم ٣٤٠٨. الفتح (٦ / ٤٤١).
(٦) رقم ٣٤١٤. الفتح (٦ / ٤٥٠).
(٧) تفسير ابن سعدي (٤ / ٦٤).

- ومنه: أن ينزل خطاب كل طائفة منهم على ما يقتضيه فقه الواقع ومعرفة المجادل أوالمحاور بأحوالهم إذْ إنهم:**{لَيْسُوا سَوَاءً}** وقد قال تعالى:**{وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}**(١) فيفوت من الإحسان في جدالهم على قدر تفريط المجادل في:
- العلم بالحق ومعرفة تفصيل الآيات
- ضعف استبانة سبيل المجرمين وما هم عليه من الضلال المبين

* * * * *

المطلب الثانى:

غشيانهم في محافلهم ومجتمعاتهم لدعوتهم إلى الإسلام

من هذا حديث أنس رضي الله عنه قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: **«أسلم»**؛ فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطِعْ أبا القاسم ﷺ فأسلمَ فخرج النبي ﷺ وهو يقول: **«الحمد لله الذي أنقذه من النار»** (٢)

* * * * *

المطلب الثالث:

الكتابة لملوكهم ورؤسائهم

روى ابن عباس - كما في حديث أبي سفيان الطويل مع هرقل - أن النبي ﷺ كتب إلى هرقل: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلامٌ على من اتبع الهدى أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتِكَ اللهُ أجرَك مرتين فإنْ توليتَ فإنَّ عليك إثمَ الأريسيين**{قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ**

(١) سورة الأنعام: ٥٥.

(٢) رواه البخاري رقم (١٣٥٦) انظر: الفتح (٣ / ٢١٩). وفي معناه: حديث أبي هريرة في ذهاب النبي ﷺ إلى بيت المدراس، ودعوتهم للإسلام. صحيح البخاري: رقم (٣١٦٧).

يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[1]

* * * * *

المطلب الرابع:

التعريف بالاسلام لدى مؤسساتهم واستقبال وفودهم

دعوتهم إلى الإسلام وبيان أحكامه بعلم وحكمة وأسلوب حسن فمن خصائص هذا الدين أنه عالمي الرسالة، ليس مقصوراً على قوم أو بلد أو زمان، قال الله تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}**[2]

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنّه قال: **«الذي نفس محمد بيده، لا يسمع بِي أحد من هذه الأمّة؛ يهوديّ ولا نصرانِي ّ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلاَّ كان من أصحاب النار»** [3] قال النووي: " فيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا ﷺ " [4]

إن من سماحة هذا الدين أنه أذن لغير أهله من أهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين أن يعيشوا في أرضه مع بقائهم على دينهم وعدم إكراههم على الإسلام، ولم يخل عصر من العصور من وجود غير المسلمين داخل المجتمع المسلم، يعيشون بين المسلمين، وينعمون بالأمن على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا يعني بقاؤهم داخل المجتمع المسلم بأي وجه من الوجوه الرضا بما هم عليه من الكفر بالله، فإن الله - تعالى - لا يرضى لعباده الكفر - وإنما أذن الشارع لهم بالبقاء لحكم عديدة منها:

أن يخالطوا المسلمين ويتأملوا في محاسن الإسلام وشرائعه وينظروا فيها، فيجدوها مؤسسة على ما تحتمله العقول وتقبله، فيدعوهم ذلك إلى الإسلام، ويرغبهم فيه، فيدخلوا فيه، وهذا أحب إلى الله من قتلهم والمقصود من ذلك أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، وعدم اختلاطهم بالمسلمين يفوت هذه المصلحة، وهي معرفتهم بالإسلام قال السبكي رحمه الله: "وعدم اختلاطهم يبعدهم عن معرفة محاسن الإسلام، ألا ترى من الهجرة إلى زمن الحديبية لم يدخل في الإسلام إلا قليل، ومن الحديبية إلى الفتح دخل فيه

(١) سورة آل عمران ٣ / ٦٤/ صحيح البخاري مع فتح الباري (١ / ٣١ - ٣٣) رقم: ٧.
(٢) سبأ: ٢٨.
(٣) رواه مسلم - كتاب الإيمان - باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ٢ / ١٨٦.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٢ / ١٨٨.

نحو عشرة آلاف؛ لا ختلاطهم بهم، للهدنة التي حصلت بينهم فهذا هو السبب في مشروعية عقد الذمة " [1]

ومن ذلك استقبال وفد نجران النصارى قال حذيفة رضي الله عنه: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلا أمينا فقال:

لأبعثن معكم رجلا أمينا حقَّ أمين فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قُمْ يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله ﷺ : **«هذا أمين هذه الأمة»** [2]

* * * * *

(١) الفتاوى ٢ / ٤٠٤.
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٨ / ٩٣، ٩٤) رقم ٤٣٨٠.